الدرس السابع: الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية

المدّ والقصر:

أهداف الدرس:

-تذكير الطالب بالمد الطبيعي؛ ألأصلي، مع التأكيد على تسميته بالقصر، ثم مقابلته بما زاد عنه، وهو الفرعي.

-التعرف على مسوّغات المد-الزائد عن الطبيعي-في مقابل القصر.

-التعرف على أنواع المدّ الفرعي؛ الزائد عن الطبيعي.

-التعرف على أحكام المدود المختلفة.

-يخطو الطالب خطوة ثانية في تجويد القرآن باكتسابه المعلومات الخاصة، بالمد والقصر، وكيفية أدائهما.

الدرس:

تمهيد:

للمد الطبيعي-أو ما يعرف بالقصر-أداء خاص من حيث طول الحركة، إلّا أنّنا قد نخرج عن هذا الأصل في أداء القرآن؛ بأن نزيد فيه عن الأصل الذي مقداره حركتان. فمتى يكون ذلك وما سببه؟ للإجابة على السؤال المطروح، سنبدأ أولا بتحديد مفهوم كل من القصر والمدّ، ثم المضي في الإجابة.

1/ القصر: بدأنا بالقصر لأنه الأصل. أما عن مفهومه فهو:

أ/ لغة: الحبس، ومنه قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾ الرحمٰن/72: محبوسات.

ب/ اصطلاحا: هو النطق بالمدّ على طبيعته_ إذا لم يقع بعده همز أو سكون_ دون زيادة فيه ولا نقصان. ومقداره حركتان. قال تعالى: ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ الذاريات/36.

2/المدّ: والمقصود به المدّ الفرعي الذي يوجبه السبب (الهمز أو السكون). أما عن مفهومه فهو:

أ/ لغة: الزيادة. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ ﴾ نوح/12. أي: يزدكم.

ب/ اصطلاحا: هو إطالة الصوت بالمدّ، أو الين لسبب، وذلك السبب ملاقاة الهمز أو السكون فنطيل النطق به إلى أكثر من حركتين.

ملاحظة: أحرف المد؛ الألف الساكنة المفتوح ما قبلها، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة الكسور ما قبلها. أما حرفا اللين فهما: الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما.

أقسام المدّ الطبيعي(القصر): ينقسم المدّ الطبيعي إلى كلمي، وحرفي؛ الأول ما كان في كلمة كقوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ ﴾ البقرة/10.

والثاني ما كان في فواتح السور من الحروف الهجائية المجموعة في قولنا (حيّ طهر). وذلك في واحد وعشرين موضعا في القرآن؛ سبعة منها للحاء (الحواميم السبعة)، واثنان للياء (أول مريم ويس)﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾، وأربعة للطاء (طه، والطواسيم الثلاثة: الشعراء، والنمل، والقصص)، واثنان للهاء (أول مريم، وطه)، وستة للراء (أوائل يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر) ينطق المد في الحرف من الحروف المقطعة مما ذكرناه بصورته الطبيعية؛ بمقدار حركتين.

أنواع المدّ الفرعي: ينقسم المدّ الفرعي إلى مدّ متّصل، ومنفصل، وبدل، وعارض للسكون، ولازم.

فأما المتصل: فما كان في كلمة واحدة؛ أي ما كان فيه المدّ والهمز أو السكون في كلمة واحدة.

كقوله تعالى: ﴿كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ آل عمران/6. وكقوله: ﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ الحاقة/1.

وأما المنفصل: فما كان فيه المدّ آخر كلمة، والهمز أول كلمة ثانية، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ الحجرات/1.

وأما مد البدل: فهو _خلافا للأنواع الأخرى_ حرف مدّ تقدّم عليه همز في كلمة، وليس بعد حرف المد همز أو سكون. وسمي بدلا لأنه مبدل عن الهمز غالبا.

ملاحظة: الأصل في كل بدل اجتماع همزتين في كلمة واحدة؛ الأولى متحرّكة والثانية ساكنة، فتبدل الثانية حرف مدّ من جنس حركة الأولى. كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ

كُلَّهَا ﴾ البقرة/31. الأصل في آدم أأْدم. الهمزة الأولى متحركة والثانية ساكنة فأبدلت حرف مد من جنس حركة الأولى، وهو الألف؛ لأن حركة الأولى الفتح.

أما عن حكمه فهو ملحق بالطبيعي عند جميع القراء ماعدا ورش عن نافع من طريق الأزرق له ثلاثة أوجه: القصر(حركتان) والتوسط (أربع حركات) والطول (ست حركات).

ماعدا الاستثناءات، وذلك إذا كان قبل مدّ البدل صحيح ساكن، وذلك في أربع كلمات في القرآن(كلمة القرآن في أكثر من موضع، والضمآن في سورة المور/39، وومذءوما في الأعراف/18، وومسؤولا في الأعراف/34) لورش في هذه المواضعالقصر وجها واحدا أي مثل عامة القراء

وأما المدّ العارض للسكون: فما كان فيه حرف المدّ قبل آخر حرف في الكلمة، وقد سُكّن للوقف. كما في: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴾ الرحمٰن/1-8. المدّ في آخر كل آية من الآيات الثمان في حال الوقف عارض للسكون. أما عند الوصل فعلى أصله. ولك فيه الأوجه الثلاثة (القصر والتوسط والطول) وقفا.

وأما المدّ اللازم: فهو ما جاء فيه بعد حرف المدّ سكون لازم. وهو نوعان؛ كلميّ وحرفيّ. وكل منهما مخفف ومثقل.

فأما الكلمي المخفف: فهو أن يقع بعد حرف المدّ سكون أصلي _غي ناتج عن التشديد_ في كلمة واحدة. وذلك في كلمة (ءالْآن) الواردة في القرآن مرتين؛ في سورة يونس. في قوله تعالى: ﴿ ءَالۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾ يونس/51. و ﴿ ءَالۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ يونس/91.

وأما الكلمي المثقل: فهو ما وقع فيه بعد حرف المد حرف مشدّد (لأنه حرفان أوّلهما ساكن) كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ﴾ الصافات/1.

وأما الحرفي: فما كان فيه بعد حرف المد سكون أصلي في حرف هجاؤه على ثلاثة أحرف، سواء أكان من حروف المد أو اللين. وحروفه مجموعة في (نقص عسلكم). فإن أُدغم السكون في الذي يليه فهو حرفي مثقّل. مثاله قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴾ البقرة/1. (لامّيم). وإن لم يُدغم فهو المخفف. كما في الموضع ذاته ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ ﴾ البقرة/1_2. لكن بين (ميمْ ذلك).

أحكام المدّ: أحكامه واجب، وجائز، ولازم.

فأما الواجب: فيكون في المتصل وإن تفاوت القراء في مقداره. ومقداره عند ورش عن نافع ست حركات من طريق الأزرق. أي يقرؤه بالطول، أما من طريق الأصبهاني فله التوسط والطول (أربع أو ست حركات).

وأما الجائز: فيكون في المنفصل، والعارض للسكون، والبدل.

وأما اللازم: فسبق ذكر مواضعه.

ملاحظة: إذا اجتمع سببان من أسباب المد عُمل بالأقوى. وأقواها اللازم، فالمتصل فالعرض للسكون، فالمنفصل، فالبدل. مثاله: ﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ المائدة/2. اجتمع -في آمّين- مد البدل والمد اللازم، فيعمل باللازم.

أنواع أخرى من المدود:

يلحق بالمدود السابقة الذكر:

مد الصلة الصغرى: الذي يكون بإشباع هاء الضمير الغائب، المفرد، المذكّر -هاء الكناية- الواقعة بين متحركين، مالم يكن الثاني همزة. مثاله: ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ البقرة/255. وذلك في (تأخذه) حيث تُشبع الهاء بمدّ بمقدار حركتين. وهو ملحق بالمد الطبيعي. وذلك ماعدا قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۖ ﴾ الزمر/7. على الرغم من توفر الشروط تقرأ الهاء على أصلها دون إشباع؛ أي دون مدّ.

مد الصلة الكبرى: وتكون بوقوع الهاء السابقة الذكر بين متحركين ثانيهما همزة قطع فتمدّ بمقدار ست حركات. كما في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾ الكهف/34. وذلك في (يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠).

مدّ صلة ميم الجمع: وذلك إذا جاء بعد ميم الجمع همزة قطع، فإن ورشا يصل ميم الجمع بواو فتصير من باب المد المنفصل. كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ ﴾ الكهف/19.

وذلك في (رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ).

مدّ اللين المهموز: وهو أن يأتي قبل الواو والياء الساكنتين فتح، وبعدهما همز. لورش -دون غيره- التوسط والطول- أربع حركات أو ست- وصلا ووقفا من طريق الأزرق.

تطبيق: المدّ والقصر

حدّد أنواع المدود فيما يلي، وكيف يقرأها ورش عن نافع.

قال تعالى:

﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ طه/6.

﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍ ﴾ الأنبياء/5.

﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴾ يس/8.

﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال/2.

﴿ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ الأعراف/5.

﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ الحاقة/1_2.

﴿ طسٓمٓ ﴾ الشعراء/1.

﴿ حمٓ ﴾ الجاثية/1.

﴿ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ الزخرف/6.

﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ يس/83.

الإجابة:

ملاحظة: المد الطبيعي نظرا لكثرته تمّ تحديده بخط أسفله في الشاهد الأول فقط. أما باقي الأمثلة فسيكون التركيز على أنواع المدود الأخرى.

الشاهد الأول: أوله مد صلة صغرى، والباقي مدود طبيعية (قصر). لورش فيها القصر(حركتان).

الشاهد الثاني: مدّ منفصل، ومد عارض للسكون. وكلاهما جائز. الأول لورش فيه الطول (ست حركات). وله في الثاني الأوجه الثلاثة (القصر، والتوسط، والطول).

الشاهد الثالث: مدّ منفصل، ومدّ صلة ميم الجمع، ومد عارض للسكون. لورش في صلة الجمع الطول. وسبق ذكر الأخرين.

الشاهد الرابع: مدّا صلة ميم الجمع بينهما مدّ صلة صغرى. وبعدهما مدّ البدل. سبق ذكر الأولين، أما البدل فلورش الأوجه الثلاثة.

الشاهد الخامس: صلة ميم الجم، ثم مدّ متصل، ثم ثلاثة مدود منفصلة، والأخير مدّ عارض للسكون. وسبق ذكر أداء ورش لها.

الشاهد السادس: مد طبيعي(قصر) في طاء مقداره حركتان، ثمّ مد لازم حرفي مثقل (سين) لإدغامه في الذي يليه (ميم) والأخير(ميم)حرفي مخفف. وكلاهما مدّ لازم مقداره عند ورش ست حركات.

الشاهد السابع: طبيعي (حرفي) في (حاء) ثم حرفي مخفف (ميم) مقداره عند ورش ست حركات.

الشاهد الثامن: مدّ اللين المهموز، لورش فيه التوسط، والطول. ولا داعي لتكرار المد العارض للسكون؛ لتكرره في كل وقف. إلا في حال القف بالإشباع في المنون المفتوح. ومقداره حركتان. فيلحق بالطبيعي.

الشاهد الأخير: مدّ اللين المهموز.